بوزن رضَى ولُغَى بوزن هُدَى

وجآء في كلام آخر « ان المانيا لا تسعى الى التحرش بحربنا فهي غير مساحة كفوًّا » يريد ان سلاحها غير كافٍ فعبَّر بقولهِ كفوًّا وانما الكفؤ النظير والمثيل فكأنهُ قال غير مساحةٍ نظيراً

وقال في موضع آخر « ان الندوة البحرية هي قيد وضع مشروع لمضاعفة القوات البحرية » فقولهُ هي « قيد وضع مشروع » من اغرب ما سُمع من تراكيب الكلام

واغرب منهُ قولهُ بعد ذلك « واذا ما فرضنا ان نمآء شعوبنا لا يعاد على تنظيم البلاد المغزوّة الا ببطء فعلى الاقل ان الشبيبة الحريصة على مغامرة الحوادث تجد ثمة ما يؤاتيها على تحقيق امانيها » وهو اشبه بكلام النائم وهذيان المحموم

ونختم باب الالفاظ بقول احد مشاهير الكتّاب « ان الله وهب ذلك الرجل العظيم عقلاً لا يخلق مثلهُ الا في القرون الطويلة » .....

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٥ —

ان الحقوق التي اشرنا اليها في الفصول السابقة تعود الى الذات اكثر مما تعود الى الوظائف لان الوظائف قد فُصلت وحُدّدت منذ خرج

الانسان من حالة الوحشية الطبيعية ودخل في دور الأُلفة والاجتماع فصلاً طبيعيًّا عادلاً بين الذكور والاناث

اما الحقوق الذاتية التي عليها مدار نعيم الحيـاة واستقلال الوجدان والفكر والارادة وتنوير البصيرة والذهن والقلب فقد تحوَّفها الرجل تحوُّفاً منشأهُ جهلهُ ما ينفعهُ وما يضرّهُ وتهالكهُ على الأَثرة والاستعلآء بلا تبصر ولا تدبُّر في عواقبهما

فقد كان من حقوق الانثى الطبيعية منذ دخل الانسان في عداد الموجودات الحية حرية التصور والفكر واستقلال الارادة وان تختار لها من البعول من تحب تبعاً لاميال قلبها المطلقة من كل قيدٍ منشأهُ استبداد الوالدين او مصلحتهم وتحكُّم شيوخ العشيرة فان هذه الحقوق الرئيسية يتمتَّع بها الرجل منذ فُطر ويحصل عليها كل فردٍ من افراد الحيوان ذكراً كان ام انثى من النقاعيات الصغيرة التي لا ترى بالعين المجرّدة الى اعلى طبقات المملكة الحيوانية بعد الانسان كالاسد والفيل والعقاب والحوت فما بال انثي الانسان وحدها محرومةً اياها دون سائر المخلوقات المتحركة بالارادة

وما السرُّ والحكمة في صيرورة هذه المسكينة آلةً صمآء عادمة الحسّ والارادة يحرّكها الرجل كما يشآء ويبيع حياتها لمن يشآء[1] ذات قلبٍ

---

(١) ان الطنغوس من قبائل سيبيريا كغيرهم من اكثر امم الارض يبيحون الضرار ولكنهم يبتاعون نسآءهم ابتياعاً وثمن الزوجة عندهم عشرون ايلاً (الوحش المعلوم) او اكثر بحسب جمال المرأة وقبحها • اما ديانتهم فالشامانية وهي ديانة التتر

ولكن ليموت وهو في الحيـاة وذات فكر ولكن ليكون في حالة العطلة والخمود مستغرقا في سبات الغفلة الى ما شآء الله ولها ارادة ولكن لتكون محواً في حكم الوجود

كيف يصح هذا وهي شطرٌ تام من النوع الانساني كالرجل لهـا — من حيث الذات والطبع — ما لهُ . وعليها ما عليهِ بلا تمييز بينهما ولا تفريق

ايسوغ لهُ ان يميت منها ما هو حيٌّ فيهِ ويحبس عنها ما هو مبذول لهُ ـ لا والحق الذي من لم يستعبد لهُ لا يلبث حرًّا ـ ولو رات الحكمة ان الاصلح لحياة النوع ان تكون المرأة كما شآء الرجل لاوجدتها على الارض احط منهُ احساساً وتصوراً واضعف منهُ ادراكاً ونزوعاً الى السيادة لا تشعر بالحرية فتلتمسها ولا تدري ما الشرف فتتطلبهُ ولا تقدر الحياة الادبية قدرها فتهفو اليها . فما دامت تلك المشاعر موجودة في الانثى طبعاً كما هي موجودة في الرجال كانت نواميس الوجود تقتضي استعمالها في الجنسين على السوآء وكان تعطيلها او تقييدها كلاً او بعضاً مخالفاً كل المخالفة لقانون العمران

فلا ادري اذن كيف يحلو للرجل العيش ورفيقهُ الطبيعي دونهُ وشطرهُ الابدي غريمهُ وموضوع انعطافهِ الجنسي عدوّهُ واليفهُ الساهر على راحتهِ واسعادهِ ومؤاساتهِ محتبس الارادة خامل الفكر ناقص الدُربة جهول احمق غير متنوّر ولا حكيم قد ضُربت عليهِ الذلة والمسكنة وحكم عليهِ بالحبس والاختبآء وأُسبل بينهُ وبين معرفة الحقائق حجابٌ كثيف ووُضع دون

ارادتهِ وحرّيتهِ المقدّستين سيفٌ ذو حدّين احدهما السلطة العميآء والثاني الغيرة الرعنآء

فقد اخرج على هذه الصورة انشاهُ من مقام الرفيق المعين والمحب العطوف ووضعهُ في عداد المقتنيات والاشيآء . ولم يكتفِ بهذا بل صار يحسبهُ في مصفّ الادوات التي ينبغي الاكثار منها كالقدور والوسائد واشكالها فاصبح الواحد منهم يجمع من النسآء العشرات والمئات بل الالوف كما فعل كثيرون من الملوك والاعاظم ولا يزالون يفعلون

ولم يقف جور الرجل وجهلهُ عند هذا الحدّ بل اخذ يكرم الدابة من مثل الفرس والناقة والفيل وغيرها من المراكب فيرعاها ويسوسها بنفسهِ مميزاً اياها بالعناية على ذلك الرفيق الصديق فان البدويّ العربيّ حتى اليوم يفضل مطيتهُ على زوجتهِ ويجعلها صباحَ مسآء موضوع اهتمامهِ وخدمتهِ وقد يجود بامرأتهِ ولا يجود بها

ولقد تجاوز الرجل في بعض الامم هذه الغاية فاسترسل في ظلم هذا المخلوق المشاكل لهُ صورةً وطبعاً ومنزلةً والممتزج بهِ جسماً وروحاً ومعاشاً حتى اصبح يستقضي زوجهُ الخدمات الشاقة ويمتهنها بالاعمال السافلة كالاحتطاب من الغاب وجمع الروث من المراعي وحلب النياق والبقر والنعاج واستقآء المآء من الموارد والمناهل وان كانت بعيدة عن الاحيآء والمنازل ساعاتٍ ومراحل . يكلمها بالانتهار وينابيها بالسبّ ويؤدبها بالعصا وان اتت فعلةً منشأها العواطف — يأتي هو مثلها كل يوم ولا جُناحٍ عليهِ ولا تثريب — كان القتل اقلّ جزآئها . وان ترملت عاشت عبدة

ممتهنة في بيت زوجها خادمةً لاهلهِ حتى الموت كما يفعل الهنود والصينيون او زوجوها بعبدٍ ممن يريدون كما نسمع حتى اليوم عن بعض القبائل في بلاد المغرب . وان كان القوم على سفرٍ كما في البادية مثلاً كانت المرأة الماشية وزوجها الراكب او كانوا في حربٍ او غارةٍ كانت عرضةً للخطف والسبي والافتراش كانها بعض الاثاث والرياش كما يفعل حتى في هذا العصر كثير من اهل الوَبَر والمَدَر في شبه جزيرة العرب و بلاد البلقآء وحوران وغيرهما . تلك حالةٌ لا يرضى بها الحيوان ومع ذلك رضي بها هذا الرجل المعروف بالانسان (١)

---

(١) وجدوا في اطلال القدمآء في جنوبي مالابار بالهند اطباقاً واسعة كانوا يذبحون العذارى ويقدمون اجسادهنّ عليها اكراماً للآلهة وكانوا يذبحون للالاهة كالي صبية حبلى بأول ولد ثم يرشون المذبح بدمها و يدحرجون رأسها تحت قدميها

وقد ثبت ان الملوك في اواسط آسيا كانوا يدفنون البنات وهنّ في قيد الحياة على تخوم ممالكهم زعماً ان ذلك يدفع الاعدآء عنهم ودامت هذه السنّة القبيحة عندهم حتى دخل الانكليز بلادهم فاكرهوهم على ابطالها ولكنها ما لبثت على ما سيمرّ بك فاشية عند بعض اهل القرى الهندية يفعلونها سرًّا لغرض آخر لا يزال مجهولاً .

وفي اميركا الجنوبية قبائل لا تبيح لنسآئها المتزوجات اكل لحم البقر ولحم القرود ولا تبيح للايامى والبنات اكل اللحم مطلقاً ولا اكل السمك اذا زاد طولهُ عن القدم

واهل طليتي يحللون للرجال اكل لحم الخنزير والطير و بعض الاسماك والجوز الهندي والموز وغيرهِ مما يقدمونهُ لآلهتهم ويحرمون مسّ ذلك على النسآء زعماً انهنّ يدنسنهُ ويحرمون عليهنّ ايضاً الطبخ على نار يطبخ عليها الرجال والاكل في الآنية والبيوت التي يأكل فيها الرجال خوفاً من ان يدنسنها ويقتلون ويأكلن المآكل الدنيئة في احقر المنازل

ارجع الى قصص الامم المسطورة وآثارها المذكورة تجد ان الرجل اينما حلّ وحيثما كان منذ شعر انهُ المستقلّ بالكسب والانفاق المطالَب بالذود عن الحوزة والدفاع عن القبيلة بما لهُ من البسطة والقوة اخذت تغرُّهُ الاباطيل ويضلُّهُ سوء التأويل ويذهب بهِ التمادي في الزهو والتطرُّف في حبّ الذات كلّ مذهب فسام شطرهُ الطبيعي الخسف وقضى عليهِ بالذلّ زاعماً ان ذلك ادعى الى راحتهِ وسعادتهِ وادنى الى ارضآء كبريآئهِ ومنازع علآئهِ شأن كل قويٍّ مع ضعيف وقديرٍ مع عاجز ما لم يكن حكيماً منصفاً متنوّراً ذا وجدانٍ عادل ورأي اصيل يؤديان بهِ الى الحكم بان الظلم وخيم المرتع والجور يقتل صاحبهُ والعدل اساس العمران والربح من غير وجههِ المعقول عين الخسران

ولكن اين الحكمة والاختبار في ذلك الزمان بالنظر الى الانسان وهو لم يبرح من حيث الوجهة الادبية طفلاً في مهد الوجود حديث النشأة في دور الحضارة قريب العهد من الحالة الوحشية التي ألفها دهوراً دهارير واحقاباً متطاولة لا يعلم عددها الا بالحدس والتقدير

وعُدْ الى تاريخ الامم الغابرة والممالك الداثرة من مثل الاشوريين فالعيلاميين فالفينيقيين فالعبرانيين (١) فالعرب العاربة طسم وجديس

(١) ان يفتاح الجلعادي قاضي اسرائيل قدم ابنتهُ العذرآء الحسنآء محرقة بعد رجوعهِ من الحرب منتصراً . فعل ذلك وفآءً لنذرٍ على ما تراهُ مثبتاً في التوراة. وشاول اول ملوك اسرائيل عرض ابنتهُ زوجةً لكل من يقوى على قتل جليات جبار الفلسطينيين كائناً من كان كانها بهيمة من جملة مقتنياتهِ يهبها لمن شآء ان

وحمير فاكثر الاقدمين فالقوط فالكوشيين فالقرطاجيين فالسكنديناف فالهنود(١) فالصينيين فغيرهم وغيرهم ترَ ان جميع من عدّدنا ومن لم نعدّد من الامم القديمة خلا المصريين(٢) القدماء في الشرق والرومان في الغرب

اعجبها ذلك او اغضبها . واحد اولاد داود غصب اختهُ العذراء نفسها ثم طردها في الحال تتعثر في خزيها وتلتحف بعارها لا يبالي بشأنها وهي بنت ملك عظيم ذلك لانهُ ابغضها بعد هيامهِ الشديد فلم يرق لديهِ بقآؤها عندهُ ولا بقية يومها حتى تعود الى بيت ابيها تحت ستار الظلام

(١) قد تحقق ان قسماً عظيماً من سكان القرى في بلاد الهند يقتلون بناتهم او يدفنونهنّ حيّات كما كان العرب يصنعون في عهد جاهليتهم الى ان قام جدّ الفرزدق الشاعر فاخذ يشتريهنّ من آبائهنّ بالمال ويهب لهنّ الحياة فسمي بين قومهِ « محيي الوئيدات »

(٢) لقد حقق منيثون المصري وهيرودوطس المؤرخ وثبت من الآثار الهيرغليفية المنقوشة على الهياكل المصرية ان المصريين فاقوا جميع امم الارض في تكريمهم للنسآء بل سبقوا الكلّ في اعطآء المرأة حقها منذ دهورٍ متناهية في القدم حتى تجاوزوا في ذلك حدود الاعتدال وافرطوا افراط بعض الغربيين في هذا الزمان مما آل الى شكوى العقلآء وتذمر الجهلآء فان تلك الدول التي قامت قبل الميلاد باكثر من ثلاثة آلاف سنة كانت تورّث عروشها للنسآء . وكان يسمح للنسآء اذ ذاك بان يجالسنَ الرجال ويلاعبنهم بانواع من الملاهي والالعاب الرياضية ويشاركنهم في الاعمال والآرآء وكان مباحاً لهنّ البروز الى المتنزهات والمواسم والشوارع بلا حارسٍ ولا رقيب وكنّ يشربنَ المسكر كالرجال ويخطبنَ في المحافل والاندية في اي موضوع شئنَ كانهنّ قادة الضمائر وهداة الالباب . وبالجملة فان الرجل المصري كان مجلّياً في ميدان هذا الفضل بين رجال سائر الامم اذ عرف المرأة بصفتها الحقيقية ووصفها الطبيعي ومنزلتها الانسانية فلم يقهرها ولم يستعبدها وخوّلها من حرية

قد اتبعوا هذه الخطة الشنعآء مخالفين ناموس الارتقآء لان كل امةٍ لم يتخذ افرادها وحكومتها العدل شعاراً والمساواة قانوناً والحرية اماماً يتعذر بل يستحيل عليها الثبات في معترك الوجود وتقفل في وجوه ذريتها ابواب السعادة والمنعة والاستقلال وتتهافت في مهاوي الذلة والضعف الى ان تُكتَب على اعلامها آية الزوال والاضمحلال (ستأتي البقية)

الدماغ والعقل

(تتمة ما سبق)

هذا مُجمَل ما ذكرهُ اصحاب هذا البحث ولعلّ بعضهُ لا يخلو من صحة لكن لا على الوجه الذي قرروهُ من ان كل واحدةٍ من تلك القوى لها عضوٌ قائمٌ بنفسهِ مستقلٌ بعملهِ والاّ لزم تجزئة الدماغ الى عدة ادمغة وبالتالي تجزئة العقل الى عدة عقول لكلّ منها حافظتهُ وحاكمتهُ ومخيّلتهُ وهلمّ جرًّا . واقلّ ما يلزم عن ذلك تعدُّد الذات التي يعبّر عنها كل واحد بقولهِ « أنا » بحيث يصبح هناك عدة ذواتٍ لا ذاتٌ واحدة وهو منقوضٌ بشهادة الوجدان لان كل احدٍ يشعر من نفسهِ بهذه الوحدة وان جميع ما

الفكر والارادة ما جعل عيش المصريين هنيئاً وزمانهم مجيداً وعرج بهم الى ذروة التمدن والعز والشهرة . بيد انهم قد افرطوا وتطرفوا في التسامح حتى اصبح الرجل منهم يتزوج بشقيقته كما فعل كثيرون من البطالسة الذين تملكوا مصر واخذوا هذه السنة الذميمة عن اهلها . نعم ان قدمآء الكلدانيين وغيرهم كانوا يتساهلون بزواج الاخت لأمٍّ دون ابٍ وبالعكس كما وقع لابرهيم جدّ العبرانيين معسارة ولكن لم يسمع انهم تزوجوا بشقائقهم من الام والاب كما فعل المصريون